كسر التابوهات: نهج شبكة تثقيف الأقران الشامل للشباب في الصحة الجنسية والإنجابية

لا يزال الحديث عن الجسد والصحة الجنسية والتغيرات التي يمر بها المراهقون من المواضيع المحرمة في العديد من المجتمعات، وغالبًا ما يُنظر إليه باعتباره أمرًا غير لائق. ونتيجة لذلك، يعتمد الشباب كثيرًا على بعضهم البعض للحصول على المعلومات، مما يجعل التعلم بين الأقران مصدرًا رئيسيًا للمعرفة. وانطلاقًا من إيمانها بقوة التعليم عبر الأقران، تركز شبكة تثقيف الأقران (وايبيير) على تعزيز أنماط الحياة الصحية بين الشباب والمراهقين من خلال نهج التعليم عبر الأقران، وحملات المناصرة، وتمكين الشباب من اتخاذ قرارات مستنيرة والانخراط في جهود المناصرة. وتعمل الشبكة في أكثر من 50 دولة، بما في ذلك الأردن، حيث تسعى بنشاط إلى تعزيز مشاركة الشباب في التنمية المجتمعية والوطنية.

في الأردن، تضم شبكة تثقيف الأقران أكثر من 1000 شاب وشابة يشاركون في أنشطة مختلفة تستهدف الشباب الأردنيين واللاجئين على حد سواء. إلا أن مشاركة الشباب ذوي الإعاقة في هذه المبادرات لم تتحقق بشكل فعّال إلا مؤخرًا.

من خلال برنامج "نحن نقود(We Lead) "، قامت شبكة تثقيف الأقران بدمج الشباب ذوي الإعاقة كأعضاء نشطين ضمن الشبكة. وقد ساهم هذا الدمج في توسيع المفاهيم حول التحديات المرتبطة بالإعاقة، ومكّن من تنفيذ حملات توعية مستهدفة لضمان حصول الأشخاص ذوي الإعاقة على المعلومات والخدمات الأساسية المتعلقة بالصحة الجنسية والإنجابية.(SRHR)

تعتمد شبكة تثقيف الأقران على جلسات تدريبية جماعية، وأنشطة تعليم الأقران، ونقاشات مع الأهالي لتشجيع الشباب على تولي أدوار قيادية في مجال التعليم بالصحة الجنسية والإنجابية. وبعد إتمامهم تدريبات متقدمة في هذا المجال، بادر الشباب ذوو الإعاقة إلى مشاركة معارفهم مع أقرانهم، مما ساهم في سد فجوة حيوية في إمكانية الوصول إلى المعلومات. فعلى سبيل المثال، أنشأ أحمد، وهو مشارك كفيف، مواد متخصصة بالصحة الجنسية والإنجابية وشاركها عبر قناته على اليوتيوب، مما ساهم في زيادة إمكانية الوصول إلى المعلومات. كما أطلقت بتول، وهي شابة من ذوي الإعاقة، مبادرة لتوعية الأهالي حول مواضيع الصحة الجنسية والإنجابية وطرق التعليم الفعالة. كذلك، أدى إدخال لغة الإشارة في التدريبات إلى تمكين الأشخاص ذوي الإعاقات السمعية من الوصول إلى هذه المعلومات والخدمات الحيوية. علاوة على ذلك، شملت الجهود إشراك العائلات في نقاشات ساعدت على تحدي الأعراف المجتمعية وشجعت الآباء على دعم حصول أبنائهم على معلومات موثوقة في هذا المجال.

ومن الفجوات المهمة التي رصدتها شبكة تثقيف الأقران في عملها أن أساليب التواصل التي يستخدمها مقدمو الخدمات لم تكن فعّالة أو كانت تتسم بالحكمية وعدم ملاءمتها لاحتياجات الشباب. وبالنسبة للفتيات غير المتزوجات، جعلت الوصمة المجتمعية من الصعب عليهن الوصول إلى المعلومات. كما كانت المفاهيم الخاطئة حول احتياجات الأشخاص ذوي الإعاقة في مجال الصحة الجنسية والإنجابية منتشرة على نطاق واسع.

ضمن إطار مشروع "نحن نقود"، اتخذت شبكة تثقيف الأقران خطوات استباقية لمعالجة هذه التحديات، حيث بدأت بتدريب مقدمي خدمات الشباب، بمن فيهم الكوادر الطبية، لتعزيز تفاعلهم الفعّال مع قضايا الصحة الجنسية والإنجابية. وشجعت ورش العمل وحملات المناصرة مقدمي الخدمات على خلق مساحات آمنة للنقاش المفتوح، مما ساعد في كسر التابوهات الراسخة.

أدى هذا الجهد إلى تأسيس شبكة من مقدمي الخدمات الشبابية، ما عزز التعاون بين الشباب المدافعين من تخصصات مختلفة، وساهم في تعزيز الوصول إلى خدمات صحة جنسية وإنجابية عالية الجودة. وكجزء من هذه المبادرة، تلقى الأطباء الشباب تدريبات على كيفية تقديم المعلومات الصحية بطريقة ودودة وخالية من الأحكام المسبقة. وكان لرفع الوعي بين الكوادر الطبية أثرٌ بالغ؛ حيث أفاد مقدمو الخدمات بتحسن ثقتهم في مناقشة المواضيع الحساسة مع الحفاظ على السرية والخصوصية.

فعلى سبيل المثال، اعترف طبيب من محافظة الكرك أنه كان يفتقر للمهارات اللازمة لمناقشة قضايا الصحة الجنسية والإنجابية بسبب الشعور بالحرج، لكنه بعد التدريب أصبح أكثر ثقة في التعامل مع استفسارات المرضى. كما أشار طبيب شاب من الزرقاء إلى أنه كان سابقًا يتجنب مناقشة هذه المواضيع مكتفيًا بوصف الأدوية فقط. أما طبيبة تعمل في أحد المستشفيات، فقد أقرت بأنها قبل التدريب كانت تتحدث مع أهالي الفتيات ذوات الإعاقات السمعية بدلًا من الحديث معهن مباشرة. وبعد التدريب، أعربت عن رغبتها في تعلم لغة الإشارة لتحسين تواصلها مع مرضاها.

وفي إطار مبادرة "منا وإليكم" التي أطلقها مقدمو الرعاية الصحية المدربون، تم إنتاج ثمانية مقاطع فيديو ونشرها عبر حملة توعوية على وسائل التواصل الاجتماعي، وتحديدًا على فيسبوك وإنستغرام، مما أسفر عن 16 منشورًا على منصات شبكة تثقيف الأقران بهدف رفع مستوى الوعي المجتمعي.

وقد كانت آثار هذه الجهود ملموسة. إذ أصبح مقدمو الخدمات أكثر ثقة في مناقشة قضايا الصحة الجنسية والإنجابية وتهيئة بيئات شاملة لمرضاهم. كما نجحت بتول، إحدى الأعضاء النشطات في شبكة تثقيف الأقران، في تأمين تمويل لإعداد دليل تدريبي مخصص للعائلات حول الصحة الجنسية والإنجابية.

وسع قادة الشباب نطاق عملهم ليشمل التثقيف الشامل بالصحة الجنسية والإنجابية إلى جانب قضايا العنف القائم على النوع الاجتماعي، مما ساعد على تعزيز النقاشات المفتوحة وكسر المحظورات.

وتواصل شبكة تثقيف الأقران لعب دور محوري في المناصرة الوطنية لقضايا الصحة الجنسية والإنجابية، من خلال التعاون مع المجلس الأعلى للسكان، وصندوق الأمم المتحدة للسكان(UNFPA) ، وشركاء آخرين. وتساهم الشبكة بنشاط في النقاشات السياسية لضمان بقاء الصحة الجنسية والإنجابية أولوية ضمن السياسات الوطنية الأوسع.

ورغم المخاوف الأولية بشأن تحقيق هذه الأهداف الطموحة كونها شبكة يقودها متطوعون، فإن الشغف والالتزام من قبل أعضاء شبكة تثقيف الأقران قد أحدثا تقدمًا ملحوظًا. وقد عبر المشاركون، بمن فيهم مقدمو الخدمات وأولياء الأمور والأشخاص ذوو الإعاقة، عن تقديرهم العميق للطبيعة الشاملة والمُمكّنة لهذه المبادرات.

ومع تقدمها إلى الأمام، تبقى شبكة تثقيف الأقران ملتزمة بتوسيع نطاق وصولها وضمان حصول جميع الشباب، بغض النظر عن قدراتهم، على تعليم وخدمات صحة جنسية وإنجابية شاملة وصديقة للشباب.

بين عامي 2022 و2025، نجحت شبكة تثقيف الأقران في الوصول إلى 610 من الشباب في جميع أنحاء الأردن من خلال تنفيذ 35 جلسة تدريبية، بالإضافة إلى ثلاث جلسات استهدفت 35 شابًا وشابة تم تدريبهم عبر مقدمي الرعاية الصحية الشباب التابعين للشبكة.